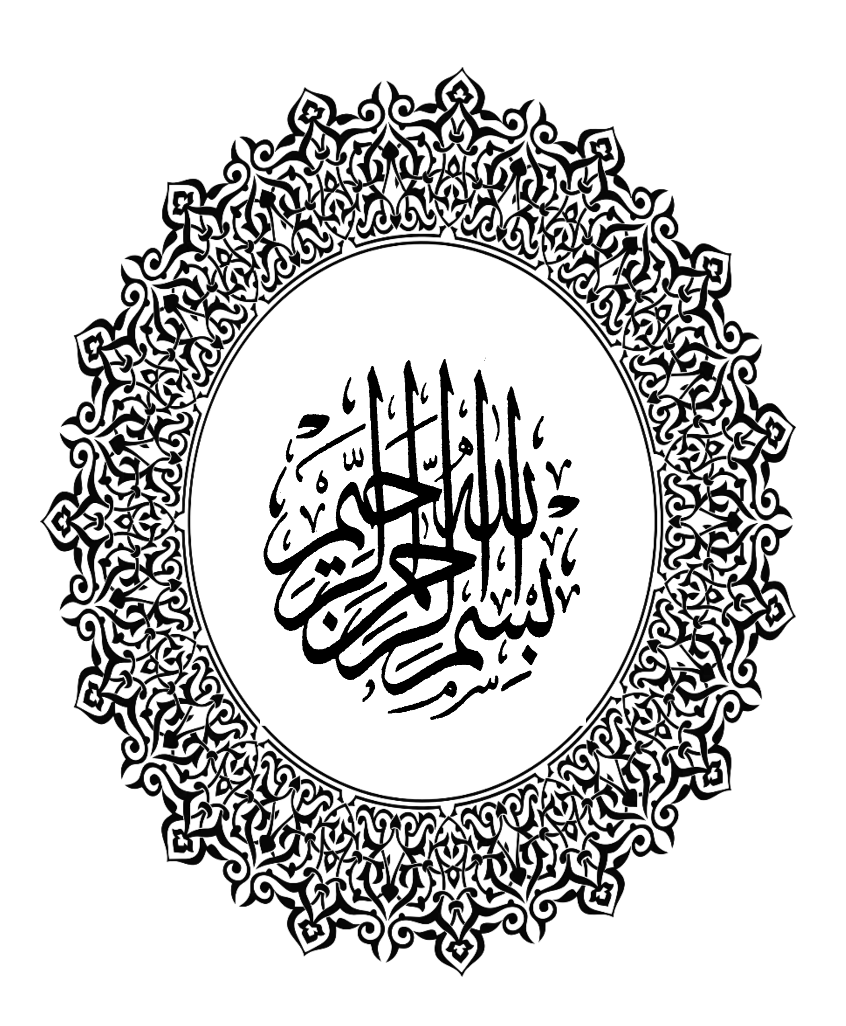
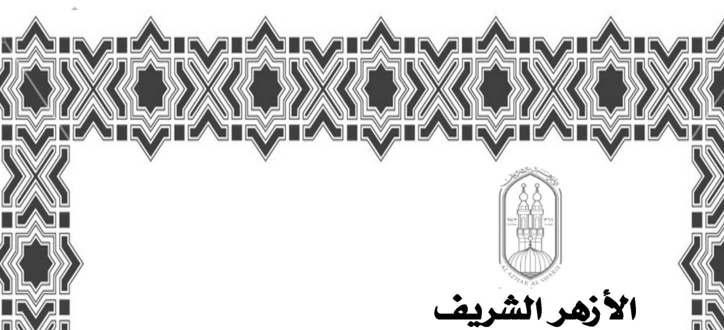
الزمالة الإنسانية


بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر الشريف

هيئة كبار العلماء

الرِّسَالة الإنسانية

كلمة ألقيت في المؤتمر العالمى الذى أقيم في لوندرة "لندن" عام ١٩٣٦م

بقلم

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ

الإمام الشيخ

محمد مصطفى المراغي

شيخ الأزهر الأسبق

الأزهر الشريف
هيئة كبار العلماء
تليفون: ٠٢٢٥٩٣٩٠٤٦
فاكس: ٠٢٢٥٩٣٩٤٦
البريد الإلكتروني:
SeniorsCouncil@alazhar.eg
الموقع الإلكتروني:
ww.azhar.eg\scholars
العنوان:
ش الأزهر – أمام مسجد
سيدنا الإمام الحسين – القاهرة
*****
فهرست الهيئة المصرية العامة لدار الكتب
والوثائق القومية:
الزمالة الإنسانية
محمد مصطفى المراغي
ص: ١٤ × ٢٠ سم
عدد الصفحات: ٤٨

الطبعة الأولى
لهيئة كبار العلماء
١٤٤١هـ / ٢٠٢٠ م
متعهد الطبع:
مجمع مطابع الأزهر الشريف
تليفون: ٠٢ ٢٦٨٤٠٥٥٧
فاكس: ٠٢ ٢٦٨٤٠٥٥٧
****
تصميم الغلاف:
أ / إسماعيل محمد عبده على
رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٧٢٨٩

افتتاحية

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا رسولِ اللهِ، وآلِه وصحبِه ومَن والاه ... وبعد:

فإن مركزَ اتزانِ الكرةِ الأرضيةِ ـ جغرافيًّا وفكريًّا ومجتمعيًّا ـ هو العالمُ العربيُّ والإسلاميُّ؛ الذي يستندُ إلى **(مصر الأزهر)** وبها قِوامُه؛ يأخذُ منها ويتلقى عنها؛ جيلاً وَراءَ جيلٍ.

وبريادة فضيلةِ الإمامِ الأكبرِ الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخِ الأزهرِ وتوجيهاته؛ **يقوم الأزهر الشريف** بأداء واجبه من خلال منهاجه الوسطي الأصيلِ، وعالميةِ رسالتِه وعِلميتها؛ فيعمل على:

- إنارةِ العقولِ وَهِدَايتَهِاَ، والعملِ على رقيِّها ويقظتِها.



- وقايةِ المجتمعاتِ من انحرافِ الأفكارِ وتشددها، وباطلِ الآراءِ وساقِطِها، ومرذولِ العادات ودخيلِها.

وقد وسعت وسطيته وعالمية رسالته: تنوعَ الفهومِ، واختلافَ العاداتِ، وتعدُّدَ الثقافاتِ؛ وصار ما تُصْدِرُهُ أرضُ الكنانةِ محطَّ الأنظارِ، ومبعثَ القدوةِ والاحتذاءِ، وبخاصة فيما يمسُّ الشرعَ الشريفَ.

وتأتي هيئةُ كبارِ العلماءِ وهي قمةُ الجهازِ العلمي في الأزهر الشريف؛ لتقوم بدورها في هذا السبيل، مِن:

- تجليةِ صحيح الدين، وبيان وسطيته واعتداله: عقيدة وشريعة وأخلاقًا.
- تصحيحِ المفاهيم، وردّ الشبهات، وكشفِ عَوارِ الأفكارِ المنحرفةِ والمتطرفةِ.
- معالجةِ قضايا العصر ومشكلاته.

- تلبيةِ حاجات المجتمع، وإجابة تساؤلاته.

- ترسيخِ قيم التعايش والمواطنة ، ودعم رفعة الأوطان ورُقيِّها.

ويتجلى طرف من ذلك في هذه الإصدارات للسادة العلماء الأجلاء؛ أعضاءِ الهيئة- ومَن في درجتهم- قدامى ومعاصرين.

وبالله تعالى التوفيق

أ.د/ صلاح محمود العادلي
أمين عام الهيئة

الشيخ محمد مصطفى المراغي

١٢٩٨-١٣٦٤هـ/ ١٨٨١-١٩٤٥م

هو العلامة محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي شيخ الجامع الأزهر ولد فضيلته في ٧ ربيع الآخر ١٢٩٨هـ/ ٩ مارس ١٨٨١م بمدينة "المراغة"، بمديرية جرجا (محافظة سوهاج حاليًا) بصعيد مصر وإليها يُنسب، وهو من أسرة عريقة لها إسهامات جليلة في خدمة العلم والقضاء، تم توارث القضاء فيها خلفًا عن سلف، لذا كانت تُلقَّب بأسرة القاضي(١).

وقد نشأ الشيخ المراغي في بيئة علمية؛ وعرف والده بالتقوى والورع والعلم، وكان للأسرة مكانتها ومنزلتها، وكانت دارهم

---

(١) ينظر : نثر الجواهر والدرر ١٤٨٨/٢ ، والأزهر بين المراغي والظواهري، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد ١٨، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م، ص ٧٤٣.

دار كرم، ومنتدى أفاضل القوم، بل كانت تعرف لدى الجميع بأنها مقصد أهل الخير وذوي الحاجات – من المسلمين وغيرهم– الذين كانوا يريدون حلاً لمشاكلهم علي يد الشيخ "مصطفي المراغي"؛ وذلك لما له من تقدير خاص ومكانة عالية في نفوس الناس؛ ولذا كان الحي الذي تقع فيه داره يعرف بحي القاضي أو الشيخ [١].

أرسله والده إلى كُتَّاب البلدة لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، فظهر نبوغه ونجابته خلال حفظه للقرآن الكريم، فقد وهبه الله قلبًا واعيًا وحافظة قوية فحفظ القرآن في مدة يسيرة، وبعدها أرسله والده إلي الأزهر ليدرس الدراسة

(١) ينظر: الشيخ المراغي ودوره في المجتمع المصري (١٨٨٢-١٩٤٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، كلية الآداب، أجيزت عام ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٧.

الدينية التي وهبت الأسرة نفسها لها، فاندمج في غمار طلبته وهو في سن الحادية عشرة، فدرس الكتب التي كانت تقرأ في تلك الفترة علي يد مشاهير العلماء[١].

وكان الإمام محمد مصطفى المراغي معروفًا بين أقرانه وزملائه من الطلبة بالأخلاق الكريمة والحِرص على طلب العلم وقوة التحصيل، وقد أخذ العلم عن كثير من علماء عصره وفي مقدمتهم الشيخ علي الصالحي - من شباب علماء الأزهر المستنيرين المحققين - الذي درس عليه علوم العربية وتأثر بأسلوبه في التوضيح والبيان، والشيخ دسوقي عربي، والشيخ محمد حسنين العدوي، والشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي، كما اتصل بالشيخ محمد عبده، فانتفع

(١) ينظر: الإمام المراغي والأدب الإسلامي في تراثه، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة، أجيزت عام ١٩٧٧م، ص ٢٨.

بمحاضراته العامة في التفسير والتوحيد والبلاغة، وتفتحت على يديه مواهبه العقلية(١)، وصار من تلاميذه النابغين، وتأثر بمنهجه السلوكي ودعوته الإصلاحية، وظل وثيق الصلة به وسار على نهجه في التجديد والإصلاح، ثم تقدم لامتحان شهادة العالمية في ١٢ ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ ٢٨ مايو ١٩٠٤م فنالها من الدرجة الثانية، وكان الشيخ محمد عبده أحد أعضاء لجنة الامتحان(٢)، وقد رأى المراغي وهو يُؤدي الامتحان مريضًا مرتعشًا من الحمَّى، ومع ذلك أجاد في الامتحان، بل كان الأوَّل على زملائه، فدعاه الشيخ محمد عبده إلى منزله تكريمًا له.

---

(١) ينظر : مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن، ٢/ ١١.

(٢) ينظر :تطور نظم التعليم في الأزهر (١٣٢٦- ١٣٨١هـ/ ١٩٠٨- ١٩٦١م) دراسة تاريخية وثائقية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بأسيوط، أجيزت عام ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص ١٨٣.

وكانت شهادة العالمية من الدرجة الثانية التي حصل عليها الشيخ المراغي هي نفسها التي حصل عليها أستاذه الإمام محمد عبده، وهذه الدرجة تُؤهِّله للتدريس في الأزهر والمدارس التابعة له، ولما كان الشيخ المراغي جميل العبارة ولطيف الإشارة، غوَّاصًا في بحور المعاني، فقد اشتدَّ الإقبال عليه، وازدحمت حلقته بالطلاب والعلماء لسماعه؛ وأصبح حديث أهل العلم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وفي التاسع من سبتمبر ١٩٠٧م تم اختياره مفتشًا للدروس الدينية بوزارة الأوقاف بمصر، ولكنه لم يترك التدريس في الأزهر الذي يهواه، فجمع بين الوظيفة والعمل.

غير أنَّه لم يبقَ في حلقات درسه غير ستَّة أشهر غادَر بعدها إلى السودان، ليتولَّى فيها القضاء، بأمر الخديوي سنة ١٩٠٨م ، وفي السودان أصر الشيخ المراغي علي أن يختار المذاهب والآراء والاجتهادات الفقهية التي يحكم بموجبها القضاة، ولا يترك هذا

الاختيار للسكرتير الإنجليزي، وكانت تلك بدايات إنجازاته في إصلاح القضاء الشرعي بالسودان، وفيه كان أستاذًا ومعلمًا ومرشدًا للقضاة ، كما عمل علي تكوين جيل من القضاة السودانيين فأشرف علي القسم الشرعي بكلية (غوردون) وزوده بأساتذة من العلماء المصريين من الأزهر ودار العلوم، فكان بذلك المؤسس الحقيقي للقضاء الشرعي السوداني الحديث.

لكنَّه كان دائمَ الحنين للرُّجوع إلى الأزهر للإسهام في إصلاحه، وفي سنة **١٩١٩**م عاد إلى مصر، وعين رئيسًا للتفتيش بالمحاكم الشرعية لمحكمة مصر الكلية، ثم عضوًا في المحكمة العليا الشرعية، ثم رئيسًا لها[١]

(١) ينظر : نثر الجواهر والدرر ٢/ ١٤٨٨، والأزهر في ألف عام ١/ ٢٧٥

عضويته بهيئة كبار العلماء:

- نال الشيخ محمد مصطفى المراغي عضوية هيئة كبار العلماء في أكتوبر ١٩٢٤م بالقرار الملكي (٦٢) لسنة ١٩٢٤م وشمل القرار كل من حسين والي، والشيخ محمد الحلبي، والشيخ سيد علي المرصفي[١]

- تم تعيينه شيخًا للأزهر مرتين الأولى عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م، و الثانية عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م. وأُنعم عليه بالوشاح الأكبر من نيشان إسماعيل[٢]

(١) الوقائع المصرية العدد (٩٠) السنة (٩٥) يوم الخميس ١٧ ربيع الأول ١٣٤٣هـ ١٦ أكتوبر ١٩٢٤م أمر ملكي رقم (٦٢) لسنة ١٩٢٤

(٢) الوقائع المصرية العدد (٢٢) السن (١٠٨) ١٢ فبراير ١٩٣٨م

مشيخته الأولى للأزهر:

تم تعيين الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخًا للأزهر عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م وهو في السابعة والأربعين من عمره، وقد كان لتلمذة الشيخ المراغي على يد الإمام محمد عبده أثرها في أفكاره الإصلاحية، فكان أول ما دعا إليه هو ضرورة الاجتهاد في الدين والعلم، ومواكبة العصر في نظم التعليم وطرق الفهم[١].

---

(١) دار الوثائق القومية، وثائق الأزهر، سجلات قيد محاضر وقرارات وجلسات مجلس إدارة الأزهر في الفترة ١٣٤٦-١٣٤٩هـ/١٩٢٨-١٩٣٠م، سجل رقم ١٧، كود (٠٠٢١٥٩- ٥٠٠٤)، محضر رقم ٣٣٤، جلسة ٢٨ ذي الحجة ١٣٤٦هـ/ ١٧ يونيه ١٩٢٨م.

مشيخته الثانية للأزهر:

ثم أُعيد الشيخ المراغي إلى مشيخة الأزهر مرة أخرى في المحرم ١٣٥٤هـ / أبريل ١٩٣٥م على أثر مطالبة الأزهريين -طلابا وعلماء- بعودته لمشيخة الأزهر لتحقيق ما نادى به من إصلاحات(١)، وباشَر أولًا تنفيذ ما استقرَّ عليه رأيه من وجوه الإصلاح في الأزهر، وما رآه في فترته الأولى، وقد حدَّد مهمَّة الأزهر بأنَّه هو المعهد الإسلامي الأكبر، وأنَّ الغرض منه:

١- القيام على حفظ الشريعة؛ أصولها وفروعها، واللغة العربية، وعلى نشرهما.

---

(١) ينظر: إصلاحي في جامعة الأزهر.. أعمال مصطفى المراغي وفكره (١٨٨١-١٩٤٥م)فرنسين كوستيه ـ تارديو: ، ترجمة: عاصم عبد ربه حسين، المركز القومي للترجمة ـ القاهرة، ٢٠١٣م، ص ١٣.

٢- تخريج علماء لتعليم ما سبق في مختلف المعاهد والمدارس، ويتقلَّدون الوظائف الشرعيَّة.

ولقد أُقيم مهرجان كبير لتكريمه لعودته مرَّة ثانية للأزهر، وخطب فيه كثير من الزعماء، وذكروا مواهبه وفضائله، فوقف الشيخ قائلاً: إنما يُنسب الفضل إلى أستاذي محمد عبده، وذكر أنَّه هو المصباح الذي اهتدى به.

وقد بدأ الشيخ المراغي تنفيذ وجوه الإصلاح التي بدأها، فأصدر القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦م، كما قام بتطوير المناهج الدراسية على النحو الذي يجمع فيه بين الأصالة والتجديد، بإعادة صياغة مضمون المؤلفات القديمة بأسلوب معاصر، بما يوافق حاجات الناس، والمجتمع ، وإلا كان حظ خريجي الأزهر هو التقاعد المبكر والبطالة الدائمة، ولذا حرص على أن ينص في قانون الأزهر على: أن يكون خريجو كلية اللغة العربية وكلية الشريعة

صالحين للتدريس في المدارس الحكومية، كما حدد منهجًا علميًا دقيقًا لدراسة المنطق والفلسفة وآداب البحث والمناظرة وعلم النفس وعلم الأخلاق في كليات الأزهر، وبذلك لبى الأزهر روح العصر واتصل بالعلوم الأخرى.

وأسهم الشيخ المراغي في إنشاء العديد من الهيئات الجديدة بالأزهر ومنها: قسم الوعظ والإرشاد، ولجنة الفتوى، كما أدخل تعديلات على جماعة كبار العلماء واشترط لعضويتها أن يكون العضو من العلماء الذين لهم إسهام في الثقافة الدينية، وأن يقدم رسالة علمية تتسم بالجرأة والابتكار [١]، كما قام بإنشاء ثلاث كليات تكون مدة الدراسة فيها أربع سنوات، كما أصدر مجلة الأزهر، كما اهتم بإنشاء مكتب لترجمة الكتب وتعريبها والترجمة

---

(١) ذاكرة الأزهر، الشيخ محمد مصطفى المراغي.



للمجلة الدينية باللغات الأخرى، وكان يتولى الرد على ما يكتب ضد الدين باللغات الأخرى.

وفاته:

لقي الإمام المراغي في حياته مصاعب عديدة؛ وتغلَّب عليها بقوَّة إيمانه بالله، وكان حريصًا على الأمانة، صادقًا لا تأخذُه في الحق لومة لائم، ولو كلَّفَه ذلك حياته، وقد تُوفي رحمه الله في ليلة الأربعاء ٢٢ - أغسطس ١٩٤٥م ، / ١٤ - رمضان ١٣٦٤م وشُيِّعَ إلى مثواه الأخير، في جنازةٍ مهيبة، وحزن عليه العامَّة والخاصَّة[١].

(١) ينظر: نثر الجواهر والدرر٢/١٤٨٨

كلمة التحية للمؤتمر[١]

(١) تشرفت بالدعوة إلى حضور هذا المؤتمر من حضرات السادة القائمين بأمره، وكنت شديد الرغبة في شهوده وفي لقاء حضرات السادة ممثلي الأديان والمذاهب، ولكن أسبابًا قويَّة حالت دون بلوغي هذه الأمنية، فبعثت بكلمتي هذه وأَنَبْتُ عنِّي في إلقائها الشيخ عبد العزيز المراغي المدرس بكلية الشريعة وعضو بعثة فؤاد الأول بلندن، وأنا راجٍ منكم أن تقبلوا أصدق عبارات التحية والإجلال، وأصدق الأماني لتحقيق الغرض السامي الذي تسعون إليه.

(١) ألقيت في المؤتمر العالمي الذى أقيم في لوندرة " لندن " في ٣ يوليه سنة ١٩٣٦ م. وطبعت في مطبعة الرغائب (جمادى الأولى ١٣٥٥هـ - يوليو ١٩٣٦م)

فكرة الزمالة طبيعية:

(٢) إن فكرة الزمالة تولَّدت في الجماعات الساذجة، وكان مظهرها تذليل عقبات الحياة في أشكالها البسيطة، ونمت الفكرة بنمو الجماعات، وامتد سلطانها فشملت القبائل، ثم نمت حتى وسعت الشعب والأمة.

واليوم وقد نشأ الشعور بحاجة الأمم بعضها إلى بعض، ونشأ الشعور بوجوب جعل الحياة العامة في البشرية كلها بمأمن من الغوائل، ونشأت الحاجة إلى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية لا تستقل بها أُمَّة بل تحتاج إلى مشاركة عامة، أخذت فكرة الزمالة تتسع وتمتد لتشمل النوع الإنساني كله.

ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية، بل هي حاجة طبيعية تولدت في النوع البشري منذ دور الطفولة، ومنذ أدرك أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعده على قطع مفاوز الحياة بأمان، ويعود عليه بالخير .

أسباب التفرق طبيعية

(٣) ومع شعور الإنسان بالحاجة إلى الزَّمَالة، ومع أنَّ العقل يقتضيها، فقد كانت عوامل التَّفَرُّقِ دائمًا ملازمة لهذا الشعور؛ لأن الإنسان لا يُسَيِّرُه العقلُ وحده ولكن تُسَيِّرُه أيضًا غرائز حيوانية رُكِّبَتْ فيه، ومن هذه الغرائز حب الأثرة والغيرة، والخوف والشك. وقد أضيف إلى ذلك اختلاف الأديان والمذاهب، فوجد عامل آخر للتفرق، حتى إنه عندما يلوح للباحث أن الإخاء الإنساني المنشود تُدَافِعُه كُلُّ تلك النوازع في الإنسان، يبدو له أنه مطلب لا ينال في هذه الحياة؛ إذ يهوله ما يحتكم فيها من شرور تصرفها تصريفًا جائرًا شرسًا لا قَلْبَ له ولا وِجْدَان.

التدين هو الدواء

(٤) ولا أعتقد أن التقدم العلمي والفلسفي بقادر على التغلب على هذه العوامل وإزالة آثارها، فقد شاهدنا أن الحروب تزيد هَوْلًا ووحشية كلما ازداد تَقَدُّمُ العلم، وأنه أمضى أسلحتها. بل في الحق إني لا أعتقد أنه سيجيء اليوم الذي تتحقق فيه المُثُل العليا للبشرية؛ لأنه وإن أمكن بعامل من العوامل أن تَخْبُوَ جذوةُ تلك النار المنبعثة من قوى الطبيعة في الإنسان فإنَّه لا يمكن أن تنطفئ تلك النار.

(٥) لكن هذه العقيدة لا يصحُّ أن تُوقِفَنا عن البحث عن الوسائل للطاقة لتلك الغرائز والكابحة لجماحها، بل من الخير أن نبحث عن تلك الوسائل.

والتدين حين يعالج هذه المشكلة يجب أن يذكر أن الأديان كلها قد اعتمدت في الإنسان على أصل راسخ من غريزة التدين، ودفعته إلى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة تسودها قوة مدبرة

حكيمة عادلة ترقب النيات وتحكم الضمائر، وأن هذه الحياة صائرة إلى غاية من المسئولية والمجازاة، ففي التدين من هذا التأليه والخضوع ومراقبة الإله وتَوَقُّعِ مُحَاكَمَتِهِ عوامل ليست أقل خطرًا ولا أضعف أثرًا في دفع الإنسان إلى الخير والبر من تلك العوامل الأخرى الداعية إلى الشرور، والدافعة إلى الحرب والحرص، وإفساد شأن الجماعة الإنسانية.

وليس من شك في أن اعتقاد حياة أخرى أطول مدى من هذه الحياة، واعتقاد أنها خيرٌ خالصٌ يصل إليه الإنسان بالعمل الصالح أو شرٌ محضٌّ يكون نتيجةً حتميةً لأعمال الشر، يجعل قلب الإنسان مطمئنًا راضيًا إذا ساء حظُّه في الحياة الدنيا، ويُغَيِّر نظره إلى هذه الحياة تغييرًّا تامًا. ثم اعتقاد أن الخير والشر ينزلان بمقدار بعد وزنهما بميزان عادل هو ميزان القادر الحكيم، يُحَفِّزُ الإنسان إلى الإكثار من عمل الخير ويُبْعِدُه عن عمل الشَّرِّ.

(٦) يجب أن يكون المهيمن على عمل الإنسان من داخل الإنسان، وهو خوف الله. وقد يقول علماء الأخلاق إنهم إذا وصلوا إلى جعل الإنسان يحبُّ الخير لذاته ويَكْره الشَّرَّ لذاته ونَبَّهوا الضَّمير الإنساني بواسطة التهذيب والتربية أغنى ذلك عن التدين. لكن أَنَّى لهم ذلك، وكيف يُسْتَطَاعُ تهذيب الدَّهْمَاء ومَنْ تُلْهِهِمْ من أول أدوار الحياة الحاجةُ إلى القوت؟ فالرجوع إلى غريزة التدين أسهل. وهذا الشعور الديني إذَا عُمِّقَ وصَلُحَ أقوى -أو على الأقل ليس أضعف- من الخوف والطمع والمنافسة المثيرة للحروب. وهذا الشعور يرفع الإنسان إلى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والجاه والطَّبَقَةِ والثَّرْوَةِ، وهو صالح لأن يغلب الحقد والحسد والأنانية، وفيه من تطمين النفس ما يقلل بطرها بالغنى، ويهون عليها الفقر، ويُخَفِّفُ ثورتها عليه.

وهذا الشعور يكرم النفس الإنسانية ويحدوها إلى المعرفة والحكمة، ويُكَرِّهُ إليها الجهل والحمق. كُلُّ تلك الآثار قد ثبت

تحقيقُ التدين لها فعلاً، لولا طوارئ أخرى. ومن هنا تقوى طماعية التدين في قبول تلك الغاية المرجوة من الأخوة الإنسانية مهما عَزَّ ذلك أو بعد، ولكن بقدر ما تحتمل ذلك طبيعة الإنسان.

(٧) نَعَم إنَّ الإنسانية لتطيف بِخَيَالِها ذكرياتٌ من جَلاَّد قاسٍ مُخِيفٍ أدار رَحَاهُ الخِلافُ الدِّيني، وكان فيه الشعورُ الدينيُّ الحادُّ الجَاهِلُ قوةً طائشةً دفعت إلى عنف وتدمير رهيب مُرَوِّع. وإنَّ الإنسانية لترنو في خيبة إلى آلاف من الأجيال المتمدينة لم تُدْنِهَا كثيرًا من تلك الأخوة الإنسانية، بل لا تزال إلى اليوم يائسة منها. لكن التدين مع ذلك كله يعاوده أَمَلُه القويُّ، ويدرك أن تلك الذكريات المُرَوِّعَةِ وذلك البُعْدُ عن الغاية النبيلة ليسا أثرين لنقص في طبيعة التَدَيُّنِ أحدث ذلك كله، بل إن ذلك في الحق إنما سَبَّبَتْه غلبةُ واقعيةِ الحياة على مِثَالية التدين، فتحكَّمَتِ الحياة في التدين، حين كان ينبغي أن يحكم التدين في الحياة؛ وسببته محاولات أشخاص خالية من الضمائر استغلوا الشعور الديني

استغلالًا ماديًّا في سبيل مآرب لا تثير دفين مُخْزِيَاتِهَا. وَحَسْبُنَا أن نقول إن ما نال الإنسانية في عصور التدين من شَرٍّ وما قعد بها عن بلوغ الأمل المرجو في السلام الروحي، ليس لشيء في طبيعة التدين، بل لانحراف في اتجاه الشعور الديني. على أن ناموسَ التدريج الطبيعي يفسر هذا الذي كان من ألم وخيبة بأنه حال اقتضتها درجة رقي الحياة في تلك المهود، وأنَّ ما صارت وتصير إليه تلك الحياة من رقي، يُؤَهِّلُهَا للانتفاع بالشعور الديني في إدنائها من الغاية المرجوة آمنة من أخطار انحرافه أو فساده. وهاهو ذا الرُّقِيّ العقلي والنفسي قد حسم فعلاً غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يُسَمُّونَهَا دينية، ووجه الشعور الديني توجيها أصلح نوعًا مما كان قديمًا. ومن آثار ذلك هذا المؤتمر للأديان، ومحاولة أهل الدين تنمية الزمالة العالمية .

(٨) وهذا ما جعل اغتباطي بهذا المؤتمر عظيمًا، فإنَّه فَضْلاً عن سعيه للبحث عن الوسائل المُوَصِّلَةِ لتحقيق المثل العليا

للإنسانية، وهي الزمالة العالمية بين أفراد النوع الإنساني وأُمَمِه، فإنه بهذا السعي يحقق غرضًا أساسيًّا من الأغراض التي سعت إليها الأديان، وعني بها الإسلام الذي أدين به. فقد نَبَّه القرآنُ إلى وحدة الأبوين الموجبة للتعارف والتعاون والتناصر، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل، ولم يُقِمْ وزنًا لشرف المولد وكرم الجنس، ووضع معيارًا للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل، وهو تقوى الله. وفي القرآن الكريم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) وطلب القرآنُ إلى المسلمين إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا في حالة العدوان، وفي القرآن الكريم ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞

(١) الحجرات: ١٣ .

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[(١)] .

وقد عمل الرسول الأكرم محمد صلوات الله عليه وخلفاؤه الراشدون من بعده على وفق هذه المبادئ السامية، حتى أبيح الإمهار إلى أهل الكتاب مع ترك الحُرِّيَّةِ للزوجة وعدم منعها من شعائر دينها.

---

(١) الممتحنة: ٨ – ٩.

الزمالة بين رجال الدين يجب أن تسبق الزمالة العالمية

(٩) وإذا ما كانت تلك الزمالة أملاً مرجُوًّ التحقيق يتداعى لتنميته رجال الدين ويحتفلون بذلك في جِدٍّ وحزم، فمن الحزم إذًا أن نعود إلى هذا الشعور الديني نستفيد من سيطرته على النفوس وسعة مداه وفطريته في البشرية؛ لنبدأ منه خطتنا في تنمية الزمالة، وأن يتعاون أهلُ الأديان جميعهم، بما في الأديان من الشعور الديني المشترك بينها، وبما فيها من الفضائل العملية والغايات الاجتماعية الصَّالحة، على تحقيق الغرض المرجو من تحقيق الزمالة وتنميتها. وكل ما في الأديان مما يتعلق بالمجتمع البشري أسس صالحة ترمي إلى الخير، وإلى أن يكون الفرد عُضْوًا نافعًا في المجتمع يعاشر أخاه بالمعروف، ويدفع عنه النوائب، وتجعل أواصر المودة بين أفراد الإنسان واقعة تحت الرغبات الإلهية مطلوبة للخالق الحكيم الذي يحيي ويميت ويرزق ويغيث

الملهوف والمضطر، ويَعُدُّ بعد الموت حياةً هنيئةً لمن يعمل الصالحات.

والدعوة إلى تنمية الشعور الديني المشترك يجب أن تسبقها الزمالة بين رؤساء الأديان أنفسهم، فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعاني السامية، وأولى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذي يُدَاهِمُ الإنسانية لا يجيء من أديان المخالفين، وإنما يجيء من الإلحاد، ومن المذاهب التي تُقَدِّسُ المادة وتعبدها، وتستهين بتعاليم الأديان وتَعدهَا هُزُوًا ولَعِبًا.

الأغراض التي يسعى لها أهل الأديان

(١٠) والأغراض التي أرى أن يسعى لها أهل الأديان قسمان: معنوية، وعملية:

الأغراض المعنوية : هي في الإجمال إزاحة العلل التي حالت دون تأثير الشعور الديني في تقريب ما بين الناس، وهي -أي العلل- إما تُلَوِّثُه بالشَّوائب المُفَرِّقَةِ، وإما تُضْعِفُه وتُحَلِّلُه.

فَإِنَّ النَّاسَ بين رجلين: رجلٍ مؤمنٍ قوي الإيمان يَصْلُحُ إيمانُه لمقاومة شرور الحياة لكنَّه مُنْحَرِفٌ عن الجَادَّةِ تَثُورُ فيه عناصر الحِقْد على المُخَالفِ والكُرْهِ له والتَّرَبُّصِ به، فهو في حاجة إلى توجيه إيمانه توجيهًا نافعًا، وإلى تنقية ذلك الإيمان من الشوائب، وإلى فهم معنى التدين فهمًا صحيحًا خاليًا من الأغراض البشرية المادية.

ورجلٍ ضَعُفَ إيمانه أو أُقْفِرَ قَلْبُه منه، وأكثر ما نرى هذا بين الطَّبَقَات التي تُسَمَّى مستنيرة ويَدْعُوهَا النَّاسُ مُثَقَّفَة. وسبب ذلك اصطدام الدِّين بالعلم التجريبي وما ثار بينها من خلاف، أو جنوح الفلسفة الأدبية إلى آراء في الخير والفضائل العملية وقفت بعض الأديان في سبيل الموافقة عليها، أو اتجاه الأبحاث الاجتماعية من غايات الحياة إلى نواحٍ لم يوافق الدين على تَرَسُّمِهَا، فكانت صلة العمل المادِّي والعمل الخلقي والغايات الاجتماعية بالحياة الفعلية قوةً لأصحاب هذه الفروع على الدين وعلى انتهاك حرماته، وكانت مقاومة رجال الدين لهؤلاء مقاومة غير رشيدة سببًا في اتساع الهُوَّةِ وجُرْأَةِ المخالفة جُرْأَةً عصفت بالشعور الديني في قلوب أولئك المتعلمين، بل وأضعفت هذا الشعور عند غيرهم .

وإذا كان الأمر هكذا فمن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية الشعور الديني وإعادته يُعَمِّرُ القلوبَ، ويملأ النفوس هيبةً ورهبةً من الله، ورحمة ورِفْقًا بعباد الله، وعلى إعزاز مركز الأديان أمام العلم وأمام الفلسفة الأدبية والفلسفة الاجتماعية، وأمام تيارات التَّقَدُّم العقلي والتحرير الفكري. ولا شك في أن تقوية هذا الشعور وإعزاز مركز الأديان يقي الحياة الإنسانية من خطر هؤلاء المستنيرين وقدرتهم حين تتحكم العادة وتقوى فيهم الرغبات غيرُ الشريفة. ثم إذا استطاع أهل الأديان كسَبَ هؤلاء وإيجاد الشعور الديني في قلوبهم فإنهم يكونون قُوَّةً فَعَّالَةً في تنمية وسائط الإخاء البشري، وذلك بقوة إحساسهم، ودِقَّةِ إدراكهم، واستطاعتهم فهم ما في الأديان من معان روحية سامية مُجَرَّدَة عن المادة يَصْعُبُ فهمها على أكثر العامَّةِ ممن لم يهذبهم العلم وتنير طريقهم الفلسفةُ.

الأغراض العملية هي على الإجمال: جعل الدين أداة فَعَّالةً في تهذيب الجماعة وتمكين العوامل المعنوية التي تشترك فيها الأديان، من التأثير في الحياة الإنسانية الواقعية، وتصيير الفضائل العملية التي تدعو إليها الأديان كلها نظمًا عملية. بذلك يقلُّ فتك الشعور بالإنسانية في الأمم، وتتقارب أنظارها، وتدنو من الإخاء الإنساني بتقارب غاياتها وسلامة نفوسها.

(١١) ومِمَّا يُثِيرُ العَجَب ويُضَاعِف الأَلَمَ أنَّ أهل الأديان يحشدون جنودهم ويَعُدُّونَ عُدَّتَهم لمقاتلةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا مقاتلةً أَسْرَفُوا فِيهَا، وجعلتهم ضعفاء أمام عَدُوِّهم المُشْتَرَكِ، وسلكوا طُرُقًا في التَّنَاحُرِ مُخَالِفَةً لِأَبْسَطِ قَوَاعِدِ المَنْطِقِ، مما جعلهم سخريةً أمامَ العُلَمَاءِ وأمام الفلاسفة، وجعل كل جهودهم عقيمة النتائج؛ فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذي هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة، واستعملوا طرقَ الإكراه

والإغراء بالمال وغيره من الوسائل، ورَكَنَ بعضهم إلى القوى المادِّيَّة للدُّوَل، ونسوا أن الإيمان لا يَحُلُّ القلبَ بالإكراه، وأن العلم لا يُنَالُ إلا بالدليل، ونسوا أن العدو جَادٌّ في إزالتهم من مكانهم اللائق بهم، وأنَّ شرورَ العَالَمِ تغمر الإنسانية، وتطغى على ما بقى في النفوس من هيبة واحترام للنظم الإلهية. وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء الخطر، وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة، وهذه الإباحية التي يئن منها العقلاء، وهذه العادة المستحكمة التي تَجُرُّ الويلات على الآمنين بين حين وآخر وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية .

لكن ما الذي كان ينتظر غير هذا وعوامل التفريق تعمل في أهل الأديان كما تعمل في غيرهم، وتُغْرِيهِمْ زخارفُ الحياةِ الدُّنْيَا كَمَا تُغْرِي غيرهم، ويحافظون على الجاه والرُّتَبِ كما يحافظ عليها غيرهم، ويفتري بعضهم على بعض في الدين كما يفتري غيرهم؟

لكنَّ قبسًا من النُّورِ لا يزالُ باقيًا للمتَّقِين، وهو أنَّ اللهَ أرحمُ بعباده من أن يتركهم في هذه الشُّرُورِ المتلاطمة أمواجُهَا، وأقدَرُ على إيجاد الوسائل التي تردُّ الإنسان إلى مواطن الشَّرَفِ والفضيلة، وأنتم موضعُ الأمَلِ ومَعْقِدُ الرَّجَاء .

الوسائل التي تتحقق بها الأغراض

(١٢) وسأعرض هنا لبعض الوسائل التي تساعد على تحقيق الغرض، مكتفيًا بالإجمال، تاركًا التفصيل لحضرات السَّادَةِ أعضاء المؤتمر، وللابتكارات المُتَجَدِّدَةِ التي ينتجها التعاون الصادق بين الأعضاء وبين محبي الإنسانية:

(أ) إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد، ولذلك وسائل، منها:

١-توجيه الوعظ الديني في الأديان المختلفة إلى هذا الاتجاه الإنساني بالأساليب التي يقررها أهل كل دين لوعَّاظِه.

٢- جمع كل ما في دين من المعاني الإنسانية السَّامية العامَّة من الرفق بالبشر والبِرِّ بهم من حيث هم أفراد من نوع الإنسان دون نظر إلى الفوارق الأخرى، وإذاعة ذلك بمختلف الوسائل في مختلف اللغات.

٣-جعل الدعاية للأديان والتبشير بها قائمًا على أساس عقلي محض، وحبِّ الحقيقة، ورغبة صادقة في الوصول إليها، مع البعد عن الاحتيال لذلك والاعتماد على وسائل غير بريئة في توجيه الاعتقاد والإغراء به، وقَصْرِ الجُهْدِ على إبراز ما في الدين المدعو إليه من محاسن.

وهذه الهيئة تقوم بحسم كل إشكال أو نزاع ينشأ عن اعتداء الدعاة حسمًا شريفًا نزيهًا صادق الرغبة في المسالمة.

(ب) إيجاد هيئة تقوم بتقوية الشعور الديني وبخاصة في الطبقات المستنيرة، فتعنى بتأييد مركز التدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر، تأييدًا يقوم على احترام العقل وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه؛ التماسًا للمعرفة، فيعتمد هذا التأكيد على مقابلة الدليل بالدليل، وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة، مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل، وعن

الارتكان على السلطة الروحية المستبدة، وبالجملة يبتعد عن الأخطاء الماضية التي دفعت الإنسانية ثمنها باهظًا مرهقًا.

ويكون لهذه الهيئة شعب: شعبة تحدد ما بين العمل التجريبي والدين من خلاف قائم أو خلاف يجد، وتتبع ذلك في الدوائر العلمية المختلفة، وتتصدى لحسمه على أساس ما أسلفناه من حب للحقيقة وحرص عليها، في لباقة لا تدع الدين يجهر بما يخالف المحسوس المشاهد. وشعبة تحتفي بالآراء الخلقية وبيان الفضائل وما يكون من ذلك جائرًا على الحياة المعنوية متأثرًا بأغراض نهمة ومطامع شريرة، فتبحث ذلك في عمق ودقة، ويذاع منه الآراء المقنعة التي تنال تأييد المفكرين المخلصين، وتحفظ على الحياة غاياتها النبيلة، وشعبة تتبع الدراسات الاجتماعية وما ترسمها مذاهبها من غايات للحياة وأساليب فيها؛ كالاشتراكية والشيوعية وما إلى ذلك، تُبَيِّنُ منها موضع

الخير وناحية الحق، وتكشف عن موضع الهوى الجامح والرغبة النهمة المفسدة لشرف الغرض من الحياة. كل ذلك يذاع في الأسلوب الصحيح؛ ليسمع الناس الرأي الصالح مؤيدًا بالبرهان، موفقًا بينه وبين التدين، مُرَاعًى في كل هذا وجه الله، ووجه الحق، ووجه الخير للإنسانية.

(١٣) ونظرًا لأنَّ الإنسانية قد نالها عَسْفٌ كثير، نرى (بحق أو بغير حق) أن سببه السلطة الروحية وأصحابها .

فمن الحق أن تظفر بالطمأنينة الكاملة من هذا الخطر؛ لتدع للتدين ورجال الدين أن يعملوا على إسعادها، وأرى أن توكَّد الوحدة الدينية قولًا وعملاً، وأن نَجِدَّ في إقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لا يطمحون إلى رغبات مادية، ولا إلى سيطرة الحكم والجاه والنفوذ، وأنَّهم إنَّما يشاركون في الحياة بمقدار ما يتمكنون من أداء رسالتهم الكريمة لإسعاد الإنسانية وترفيهها،

وصيانة معنوياتها الملائمة لشرفها، وأنَّهم قُوَّامٌ على تفسير الناموس الإلهي بالحق والدعوة إليه ليس لهم من الأمر شيء، ثم نحافظ على ذلك أشدَّ المحافظة، وَنُقَوِّم مَنْ يَنِدُّ عن هذا المبدأ ويخالفه .

إذ ذاك تستفيد الأجيالُ الحاضرةُ والأجيالُ المُقْبِلَةُ، وتُفْسِحُ الطَّرِيقَ للقوَّة الدينية تعمل على الإخاء الإنساني، وتكتسب المبادئ الدينية والفضائل الخلقية والمعاني الاجتماعية السامية بوحدة الأساليب العملية التي تنصر بها المذاهب والآراء الصالحة، سلطة عملية تُمَكِّنُ مِنَ السَّعْي إلى حماية النظم والقوانين، ووضعها بحيث تحمل تلك الأصول الصالحة .

وكما يعمل أصحاب المذاهب الاجتماعية على توجيه التشريع إلى تأييد مبادئهم وقواعدهم، يجب أن يعمل أهل الأديان على توجيه

التشريع إلى تأييد الأصول العامة المشتركة في الأديان، فيُقاوم الزنا، وتُحْمَى الأسرة، ويُعَاقَبُ على الكذب والغيبة والنَّميمة والدَّسِّ والوقيعة ولو لم تُصَوَّرْ في جرائمَ مادية، وتُحَدُّ الحرية في التمتع وأسباب الشهوات، وتُحَرَّمُ المنافسةُ غيرُ الشَّريفةِ، وتُرَاقَبُ المكاسب المادية ويُحَرَّمُ الخبيث منها، ويُعَاقَبُ على الجشع والخداع والتغرير، إلى غير ذلك مما جاءت الأديان لاستئصال شروره وتطهير الإنسانية من أدناسه، فساء التطبيق، وانحرفت وجهة التدين أو ضعفت، بحيث لم تستطع مقاومة الذين لا ضمائر لهم، والذين خَلَتْ قلوبُهم من رهبة الله ورحمة عباده .

(١٤) وما من شك في أن وحدة رجال الدين وفروعها المختلفة ستبتكر –على يد رجالها الذين يُزَيِّنُ الإيمانُ قلوبَهم، وتُطَمْئِنُ

نفوسَهُم روحانيةُ الدِّين الصادقة–وسائلَ ناضجة فَعَّالة لهذه الأغراض. ولكن يجب ألا ننسى أن تلك الوسائل ينبغي أن تكون بعيدة عن التدخل في أصول السياسة والاصطدام بها، وأن تعتمد على تأييد الجماعات وتنمية الشعور الديني والشعور بالفضيلة، وعلى إنماء روح الكره لما يغمر العالم الآن من المفاسد والشرور التي نزلت بالإنسانية إلى مستوى منحط لا يفكر في غير قضاء الشهوات، وسَدِّ حاجة الغرائز البهيمية، وإشباع نَهَمِ القوى الشَّرِسَةِ وصِفَاتِ العدوان .

(١٥) ذلك ما رأيته لتنمية الزمالة العالمية، وقد قام على أساسين صحيحين. وهذه الوسائل وإن كانت دقيقة فهي ممكنة وفعَّالة،



وإن كانت تحتاج إلى جهد ودأب طويلين، لكن المطلب نبيل والخطب جليل. وإن الإسلام ليمنحها تأييده القوي .

وفي أصول الإسلام أقوى الدعائم التي ترتكز عليها الفكرة. فهو يقرر أنه لا إكراه في الدين، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[1]، ويقرر أن الدعوة إلى الله تكون بالحكمة والموعظة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[2]، ويخاطب العقل وينبه إلى التفكير فيما خلق الله، ويرفع العلم والعلماء، ويقول نبي

---

(١) يونس: ٩٩.

(٢) النحل: ١٢٥.

الإسلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[(١)]، ويقول له الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ ﴾[(٢)]، ويحث على البِرِّ والرَّحْمَة، وعلى مواساة الضعفاء والفقراء، بل وعلى الرفق بالبهائم، حتى جعل نفقة البهيمة الضَّالَّة واجبة في بيت المال، وجعل للفقراء حقاً لازمًا مفروضًا في أموال الأغنياء، وجعل الجناية على نفس واحدة جناية على الإنسانية، ووضع قواعد صارمة للعبث بالنظام .

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٨ عن أبى هريرة، وأخرجه أحمد في مسنده (٥١٢/١٤)، (٨٩٥٢) من حديث أبي هريرة بلفظ إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

ولا أطيل عليكم أيها السادة، فليس من غرضي ولا من غرضكم شرح أصول الإسلام وعرض مبادئه، ولكني بما ذكرته أردت لفت نظر حضراتكم إلى أن الغرض الشريف الذي تسعون إليه لا ينافي قواعد الإسلام العامة.

(١٦) وإنِّي أيُّها السَّادة في ختام كلمتي هذه أبتهل إلى الله أن يؤيدكم فيما تسعون إليه من خير للإنسانية، وأن ينير لكم الطريق، ويهديكم سواء السبيل .

محمد مصطفى المراغي

فهرس المحتويات